

يمكن أن يتعرضوا له في هذه الدنيا التي كان أهل الأقاليم يرونها عالمًا غريبًا مملوءًا بما يُعَرِّضُ الشباب لأعظم الأخطار وأشدّها نكرًا، وكان هذا كله يشغل نهار خالد وامرأته، ويؤرق ليل خالد وامرأته، ويصرفهما عن كل شيء، ويملاً رءوسهما بالخواطر المقلقة، وقلوبهما بالعواطف المزعجة، وكان سليم يرثى لهما ويشمت بهما، لا يُخفي شماتته ولا يبخل برثائه، كان يحبهما ويعطف عليهما، فكان يُؤذيه ما يجدان من مشقة وجهد، وقد نهاما منذ الزمان الأول عن هذا الطموح الذي لا يلائم بيئتهما، وعن هذه الآمال التي لا يقدّران على تحقيقها، كم نصح لهما بأن يدفعا أبناءهما إلى المصانع ليتعلموا فيها ما يكسبون به القوت وما يعينون به أبويهم إذا تقدمت بهما السن. وكم قال لهما: إن المدارس لم تُنشأ لأبناء الفلاحين وأوساط الناس، وإنما أنشئت لأبناء الذوات من الترك والأغنياء من المصريين. فلم يسمعا ولم ينتصحا، فهما الآن يذوقان مرارة الغرور، ويبلوان ثمر العناد.

وأغرب من هذا أن شيطاناً مريداً قد استقرّ في بيت خالد ولزم أذنيه وأذني امرأته وجعل يوسوس لهما في النهار ألا يسمعا لنصيحة سليم وأضرابه، وألا يقنعا لأبنائهما بالشهادات اليسيرة والمناصب التي تُنال بقليل من الجهد وتغلّ على أصحابها رواتب ضئيلة يراها أهل الإقليم شيئاً عظيماً وهي في حقيقة الأمر لا تُقيم الأود ولا تحمي من الجوع، فضلاً عن أن تبيح لأصحابها ما هم أهل له من الترف وخفض العيش، وكان هذا الشيطان المريد يقول لخالد وامرأته مصبّحاً وممسيّاً: انظر إلى رئيس المصلحة وقاضي المحكمة ومأمور المركز، فأما أحدهم فيُعلّم ابنه ليكون قاضياً، وأما الآخر فيريد لابنه أن يكون مهندساً، وأما الثالث فيطمع لابنه في أن يكون طبيباً، فأَي فرق بين أبنائكما وأبناء هؤلاء الناس؟! إن قاماتهم جميعاً تعادل في السماء، وليس أبناء هؤلاء الموظفين الكبار وحدهم هم الذين تعادل قامتهم في السماء على حين يمضي أبنائكما على أربع، إنهم جميعاً قد سلكوا إلى الحياة طريقاً واحدة، وسيسلكون بعد أعمار طوال إلى الموت طريقاً واحدة، فما بالهم يختلفون في الطبقة ويتباينون في المنزلة بين الحياة والموت؟!

وكان هذا الشيطان المريد يقول لخالد وامرأته فيما كان يقول: انظر إلى رئيس المصلحة كيف يستكبر ويستعلي؟! وكيف يثني عطفه ويلوي جيده إذا تحدث إلى مرءوسيه ومنهم خالد؟! وانظرا إلى امرأة هذا الرئيس كيف تدلّ وتتيه وتنتظر من علّ إلى نساء الموظفين حين يسعين لزيارتها! وانظرا إلى أبناء هذا الرئيس إنهم لا يستكبرون على أبنائكما ولا يستعلون، كما يستكبر أبواهم ويستعليان؛ لأنهم قد ذهبوا إلى كُتّابٍ